ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث

د. عبد الجليل مرتاض
جامعة تلمسان.

ربما كان من الإنصاف بمكان أن نعترف في مدخل هذا العرض المنضوي تحت هاجس "ابن خلدون والدرس اللغوي الحديث" بأننا مجحفون في حق الرجل، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل ما تكتنزه هذه الشخصية العلمية الفذة من معارف »أنسكلوبيدية« جامعة، وإحاطات علمية وإبستمولوجية واسعة، على الرغم من أن العصر الذي وجد فيه ابن خلدون كان عصر وهن وضعف وضحالة في فضاءات الفكر والإبداع.

إننا حين ننتقل من المواضيع التي عالجها ابن خلدون في »مقدمته« إلى مجال علوم اللغة، فإننا نقف على شيء عجيب لدى هذا الرجل، إلى درجة أن ينسينا بأن ابن خلدون مؤرخ وعالم اجتماع وفقيه ومتبحر في عشرات الاختصاصات العلمية الأخرى غير ما نحن فيه معه من دراسات لغوية علمية عامة.

بمعنى أن ابن خلدون من الوجهة اللسانية العامة ليس باعُه قصيرًا عن ابن خلدون الآخر في المجالات الأخرى التي طرقها، ولو استطعنا أن نكبح

جماحنا اجتزاء بعنصر واحد من العناصر اللغوية التي تناولها، وحاولنا أن نبحثها واستقصاءها مستقلة لكنا حينها أنصف لابن خلدون اللغوي، غير أن عنوان هذا البحث يجبرنا على وضع كل عنصر من مجمل ما أثاره ابن خلدون في مجال اللغويات.

ولسنا هنا مأخوذين بالغرور إلى درجة وضع هذا العلامة في مرتبة واحدة مع من وقفوا حياتهم كلها على اللغة ودراستها، في الوقت الذي كان اهتمام ابن خلدون الجوهري مجالات أخرى، فضلا عن كون الرجل كان واعيا باستحالة تخصص باحث في كل العلوم »اعلم أنه مما أضطر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف، واختلاف الاصطلاحات في التعاليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك،... فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها وأكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كُتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور، ولا بد دون رتبة التحصيل«[1] حتى وإن استثنى ابن هشام الذي يبدو أنه كان معجبا به أشد الإعجاب »ولا يطمع أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر مثل ما توصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تآليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بأن ابن هشام، ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتها لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه، ودلّ على أن الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين«[2] ومدحه الآخر لا بن هشام، هذا المدح الذي صار أشهر من ابن هشام نفسه »ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين هشام من علمائها، استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في

الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها،... فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفر بضاعته منها، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني، واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجب دال على قوة ملكته واطلاعه«[3] ؛ لا يدع لنا مجالا للتردد للاقتناع بأن ابن خلدون هو الآخر كان يملك ناصية الدراسات اللغوية منذ نشأتها إلى غاية عصره (ت : 808هـ)، فضلا عن أنه كان مهتمًا بأعمال معاصريه في المشرق، وهو لا يبرح مقيمًا ومتنقلاً بين بلدان المغرب.

وبالنسبة لنا، فإن قيمة ابن خلدون في الدرس اللغوي لا تكمن عندنا من خلال ثقافته اللسانية الشاملة، ولا في اطلاعه على خصائصها ومدارسها ومذاهبها وعلمائها، فهذه الأمور مما قد نجدها في غيره ممن تقدموه بشكل خاص، وإنما قيمته تكمن عندنا في تحاليله ورؤيته ونظرياته اللغوية التي تبدو لكن يمرون بها فوقيًا مر الكلام سطحية أو انطباعًا عاديًا، مع أنها اعمق مما نتصور، بل نستطيع القول بأن الرجل قد سبق عصره في رؤاه اللغوية قرونا.

إن الدارسين اللغويين الذين يريدون أن يدركوا أفكار ابن خلدون اللغوية إدراكًا غير مجحف في حقه، عليهم أن يطلعوا على النظريات اللغوية الحديثة أولا، ثم الوقوف على رؤى وأفكار ابن خلدون اللغوية ثانيا.

على أي حال، إن لم يشعر بهذا الأمر غيري من الدارسين الذين قد يكونون ألّموا بمحيط الدرس اللغوي عند ابن خلدون، فإني وجدت نفسي أشعر بهذا الأمر شعورًا مذهلاً، وكيف لا يخطر ببالي هذا الشعور، وهو القائل من جملة ما قال، مفرقًا بين ملكة اللسان العربيّ من جهة وقواعده وقوانينه من جهة ثانية : »والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه

الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ولا يحكمها عملا»[4] ؟. بمعنى أن النحو بالمفهوم التقليدي أو السانتكس (Syntaxe) بالمفهوم المعاصر ليس اللغة نفسها، بل هذه التراكيب مثلما هي منظومة وما ثلة لنا على علاتها (علم بكيفية لا نفس كيفية)، وأن التركيب البنيوي الذي يكون بهذه الكيفية لا يكون في خطاب آخر بكيفية أخرى، أو على الأقل هكذا ينبغي أن نتصور، وإلا ظللناه نراوح كيفية بنيوية واحدة.

ولذا، وجدت نفسي، وأنا أتحدث عن الأفكار اللسانية لهذه الشخصية أحيل على أبرز اللسانيين الغربيين المعاصرين، مما أضفى على هذا البحث سمة المنهج المقارن، ولم يكن في حسباني منذ البداية هذه الفكرة إطلاقًا، بل أفكار ابن خلدون اللسانية هي التي كانت تستحضر أفكارًا لسانية معاصرة نظيرة لها أو قريبة منها أو على الأقل متقاطعة معها.

إن علوم اللسان عند ابن خلدون أربعة أركان : النحو، اللغة، البيان، الأدب، ويمكن أن يضاف إلى هذه الأركان الأربعة، على الأقل، ثلاثة مستويات : الدلالة، الديالكتولوجية، الخط.

علوم اللسان

إن علوم اللسان عند ابن خلدون يتوزع كل مستوى فيها إلى مستويات أساسية عامة، وأخرى فرعية، وهو يدرك المعرفة اللسانية بمنظورين : منظور داخلي يشمل البنية اللسانية أداة للعمل والتعامل، معبرًا عنها عادة بأشكال خارجية تماشيًا مع ذهنية العصر وذوقه، حتى وإن كان في نيته شيء آخر أو اعتبار أعمق وأبعد، وقد تكون هذه الأشكال أقرب إلى الأركان الأربعة التي نسبها

لعلوم اللسان، إن لم تكن هي نفسها تمامًا ؛ ومنظور أدائي متميز معبرًا عنه بواجهات دلالية هي تلك الوظائف التي يفرزها المنظور الأول أو تؤديها الأركان الأربعة ذاتها.

بمعنى أن ابن خلدون ينطلق في تعريفه للعلوم اللسانية من مفهوم عملي أشمل، وعملي متصل باللغة لذاتها من خلال ما تقوم به من وظائف اجتماعية من أعلى مستوى مثل التواصلات الأدبية والرسمية،... إلى أدنى مستوى مثل التفاعلات والتعاملات الشعبية اليومية الآنية :

ليس سهلاً أن نعرف ظاهرة اجتماعية معقدة تتصل بنا اتصالاً، ومع ذلك نقف أمامها تارة مترددين، ومرة مشدوهين، مع أننا في ترددنا، أوشَدْهنا نواجه الظاهرة نفسها فيما بيننا، غير أن ابن خلدون قد فاق سابقيه منهجيًا وموضوعيًا، وانفرد عن معاصريه ليتجرده من كل ما هو انطباعي (IMPRESSIONISTE).

إن علماء اللسانيات المعاصرين للقرن العشرين بوجه خاص استطاعوا التجرد من العوامل الخارجية، ونحوا منحى علميًا في تعاملهم مع العناصر اللغوية على اختلاف نظرياتهم ومناهجهم ومدارسهم، وهذا الموقف اللساني الصرف لهؤلاء يذكّرنا بالمنهجية الخلدونية.

فهذا فرديناند دي سوسور أبو اللسانيات الحديثة بدون منازع، حين بادر إلى تعريف عناصر اللغة نبّه أول ما نبه قائلا : يفترض تعريفنا للغة إبعاد كل ما هو غريب عن كيانها ومنظومتها، وبكلمة واحدة كل ما نشير إليه بـ "الألسنية الخارجية"[(5)] وإذا كان هذا الأخير قد أدرك إدراكًا علميًا ودقيقًا العلاقة والحدود بين الألسنية الخارجية والألسنية الداخلية معرّفاً بصراحة ووضوح بأن مفهوم

"داخلي" هو كل ما "يغير المنظومة مهما تكن درجة هذا التغيير"[6]، فإن ابن خلدون يشير إلى هذه المنظومة الداخلية التي هي عنده نمطان : نمط لا هو بالمتغير المطلق ولا الثابت، ونمط متغير مطلق، فالأول ما يتصل بالشبكة اللغوية أوعلم اللغة، والثاني ما يتصل بالشبكة النحوية أو علم النحو[7].

إن ابن خلدون لا يقوم المفاضلة بين علمي اللغة والنحو على أي عنصر من عناصر الألسنية الخارجية، وكان مصيبًا في مفاضلة تلك إلى حد كبير، إذا لولا وجود سانتكس (Syntaxe) لما كانت هناك دراسة لسانية، ومنها علم اللغة، فالعرب أوجدوا علم اللغة إنهم كانوا يملكون سلفًا منظومة سانتكسية مثالية تشمل كل الصيغ المورفولوجية والبنيات النحوية الممكنة وحتى غير الممكنة (حملت الجبل).

فابن خلدون تعامل مع علمي اللغة والنحو تعاملاً داخليًا لا خارجيًا، حيث أعطى الأولوية لما يترتب عن التراكيب المتحركة من وظائف متباينة، ولعل المطلب الذي وقع فيه ابن خلدون مبالغته في تلك المفاضلة المفرطة بين علمي النحو واللغة، فهو لم يكتف بتقديم علم اللغة على علم النحو فقط، بل تمادى في جزمه بأن النحو أهم من اللغة : "والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة، وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه فإنه تغيّر بالجملة، ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهمّ من اللغة إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملةً وليست كذلك اللغة"[8].

والواقع أنه لا فضل لعلم على آخر، وليس هناك عنصر أهم من عنصر آخر، ولكن من ناحية التشكيل لأي تركيب، يمكن قبول اتجاه ابن خلدون بكثير من

الرضى، لأن ما قد يسمى بالواقعة النحوية يتماثل لنا آليا في كل تركيب، ولقد صرح دي سوسور عن هذا بوضوح : "إن كل عبارة إنما لها حضور عبر الواقعة النحوية"[9].

أضف إلى ما مضى أن آخر ما جد في حقل السانتكس (La Syntaxe) البنيوية يشير إلى رفض ثلاثي عام : رفض الحذف أو الإضمار، رفض إعطاء اعتبارات للمستوى الدلالي على حساب العناصر الأخرى، وأخيرًا رفض التمييز بين السانتكس (علم النحو) والموروفولوجيا (La morphologie) (علم الصرف).

وعليه، فاللسانيون المعاصرون يرفضون هذه الانشطارات بين عناصر الوحدات اللسانية، وهم ركزوا على وجه الخصوص الرفض القاطع للفصل بين علمي النحو والصرف مثل قول هلمسليف : "إن السانتكس البنيوي لن يكون معقولاً إلا إذا تخلى عن الانشطار الذي يفصلها تقليديًا عن الموروفولجيا، مع اختراق الحواجز الكتيمة (Cloisons étanches) بين هاتين المادتين، والاعتراف بأن سر الإوالية النحوية (Mécanisme Grammatical) كامن في لعبة الاستعمال المؤلف بين الأنماط الموروفولوجية بالتعاقد مع العلاقات السانتكسية"[10].

إن اللسانيات المعاصرة ترفض اليوم التفسيرات السطحية للعناصر النحوية أو قل التفسيرات التعسفية، ففي جملة فرنسية : (jai reçu un coup de poing) فمن الصعب القول بأن (je) هو الذي يدل على العمل، ومثلها بالعربية :

تلقيت لكّمة، فمن الصعب القول بأن "ت" أي الضمير المتصل هو الذي قام بالفعل، لأن اللكّمة جاءت من فعل فاعل آخر لا علاقة له في التركيب مع "أنا" أو : (Moi).

ويتباين ابن خلدون مع اللسانيين المحدثين أنه يجعل، كما أشرنا، علوم اللسان العربي مؤلفة من أربعة مستويات، ولعل هذا التحديد مرتبط أساسًا بالأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن علم الشريعة لا يمكن له أن يستغني عن أحد هذه الأركان الأربعة فضلاً عما سواها من مستويات جزئية أخرى ليست إطلاقًا بالأمور الثانوية.

في حين أن اللسانيين المحدثين لا يتفقون كلهم في إضفاء تعريف موحد لعلوم اللسان، فهذا دي سوسور يعتبرها جزءًا من علم آخر عام أطلق عليه اسم السيميولوجيا وهو العلم الذي "يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية"[11] بينما رونالد بارت (Ronald Barthes) يعكس هذا التعريف الديسوسوري أي السيميولوجيا بالأخرى هي فرع من اللسانيات، باعتبار كل نظام سيميولوجي يختلط بالكلام[12] والخلاف بين دي سوسور ورونالد بارت أن الأول يعطي الأفضلية للغة (Le langage) والمجتمع، وللوظيفة الاجتماعية للعلامة والتواصل، بعكس الثاني الذي لا يهتم جوهريا إلا بالمعنى (Signification) وطرائق التبليغ[13].

ومما يستوحى استيحاء بعيدًا أن علوم اللسان عند ابن خلدون نظام مزدوج : منها ما هو خاص باللغة منظورًا إليها في ذاتها ولذاتها بتعبير دي سوسور، ومنها ما هو متعلق بالمعارف اللسانية المتفق عليها سلفًا، سواء تعلق الحال بكون اللسانيات جزءًا من حقل السيميولوجيا حسب سوسور أم العكس حسب بارت.

وسبقت الإشارة إلى هذه الرؤية اللغوية عند ابن خلدون، حيث رأينا كيف يميز تمييزًا أو طبعًا متقررًا وثابتًا في المتكلمين بها يتلقاه أو يتوارثه الآخر عن الأول، وبين الصناعة أي العلوم التي أسست لها مناهج وقوانين ومقاييس صارمة

لدراسة اللغة وتعلمها والتفقه فيها لبعد الهوة وفساد السليقة لدى المتلقين المتأخرين بالنسبة للمتقدمين الأولين، غير أن هذا الطرح سيتضح أكثر في ركن الحديث عن "اللغة" عنده.

وبقي أن نشير إلى أن المصطلح الذي استعمله ابن خلدون ونعني به "الركن" كان موفقًا فيه إلى حد بعيد، لأن ركن الشيء في العربية جانبه، أو ركن الشيء جزء ماهيته، لأن الركن في التركيب اللغوي غير مستقل بذاته، بل قائم بغيره، على الرغم من وجود تعددية ـ غالبًا لأكثر من عنصر فيه، كاحتياج المسند إلى المسند إليه، والعكس صحيح، وحبذا لو يترجم (Le syntagme)، إلى العربية إلى ما يعنيه الركن في العربية، لنتمكن بعد ذلك من ترجمة (Syntaxe) إلى "تركيب" دون غموض بين المصطلحين، حتى إن كان ابن خلدون لا يعني بالركن جزء ماهية الشيء من نفسه، ولكن يتصل به، وهذا لا ينفي عنده أن علوم اللسان بشكل عام ماهية كلية، وأن كل ركن من الأركان التي ذكرها تشكل جزءًا لا يتجزأ من هذه الماهية بشكل عام.

علم النحو

رأينا كيف أن دي سوسور يقر بأن كل عبارة، إنما لها حضور عبر الواقعة النحوية، ولذلك يظهر أن ابن خلدون لم يكن بعيدًا عن الهدف لمّا صنف هذه الأركان المؤلفة لعلوم اللسان العربي، حيث وضع النحو ـ أو السانتكس بالمفهوم الحديث ـ في أول مرتبة تبعًا لتبريرات ذكرها مفصلة.

إن مفهوم النحو لدى ابن خلدون ليس ذلك المفهوم الشكلي أو الأفقي المرتبط ببنية القواعد من حيث مظاهرها الصورية، بل مفهومه عنده لا يبتعد كثير الابتعاد عن مساس ما يدل عليه علم اللغة العام الذي ينظر إلى النحو

أو السانتكس نظرة قواعد وظيفة، ولعل ابن خلدون، وهو يقدم مرتبة النحو على مرتبة اللغة في الأهمية، يشير إلى أن اللغة قد تختل في بعض مستوياتها، ومع ذلك تؤدي وظيفتها كالعامية مثلا، بل نستطيع الجزم بأنه قد فاق اللغويين القدماء بعامة واللغويين العرب بخاصة، وسبق المعاصرين من خلال إدراكه إدراكًا عجيبًا الفرق بين القواعد السانتكسية من جهة، والملكة اللغوية من جهة ثانية، أي بين ما هو سليقي وطبع بصورة آلية، وبين ما هو تطبيع يفتقر إلى هذه الملكة، وبالتالي فهو محتاج إلى قوانينها كلما أراد المتكلم الذي لا يملك هذه الكفاءة أن يؤلف كلامًا شفويًا كان أم كتابيًا، ولعل نص ابن خلدون أوضح من تحليلنا له : »والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علمًا ولا يحكمها عملاً،... وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل،... فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة«[14].

وابن خلدون يرفض رفضًا قاطعا أن العرب كانت تنطق بالطبع، بل حصل لهم ذلك باستقرار الملكة ورسوخها في محالها حتى صارت كأنها طبيعة وجبلة "يظنّ كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابًا وبلاغة أمر طبيعي ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام،... وهذه الملكة ـ كما تقدم ـ إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية التي استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علمًا بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها"[15].

وخامرنا سؤال جوهري طرحناه على أنفسنا بعدما وقفنا على التصنيفات اللغوية الأربعة عند ابن خلدون، حيث لم نجد "لـ العصرفة (علم الصرف)" عنده أثرًا مفصلاً و منفصلا : ترى أفي اعتقاد ابن خلدون أن النحو والصرف علم واحد أم يعترف لكل واحد منهما بمستواه المستقل، ولكنهما غير مفصولين الواحد منهما عن الآخر ؟.

والواقع أننا لا ندرك القيمة المنهجية والعلمية لمثل هذه التساؤلات إلا بعدما نراجع أعمال أبرز اللسانيين الغربيين المحدثين، ذلك أن جل اللسانيين قد ولى وجهته منذ سنين قليلة فقط إلى الاهتمام بالتركيب أو السانتكس بالمفهوم الواسع بالنظر إلى المؤلفات المباشرة وما تتضمنه الجملة من عناصر ركنية مثل تلك المتعلقة بما يسمى الجملة النواة (Le noyau de la phrase).

إن اللافت للنظر فعلا أن ابن خلدون لم يفطم العصرفة أي (La morphologie) على السانتكس (علم النحو)، مع أنه مكون أساسي، وليس مكملاً وحسب لبنية أية جملة، مما يسود الاعتقاد بأن الرجل يعتبرهما قسمين متكاملين لا يمكن فطم أحدهما عن الآخر، وهذا عين ما انتهت إليه المدارس اللسانية الغربية حديثًا.

إن أنطوان مايبه العالم اللغوي الفرنسي الذي تعرض لهذه الإشكالية، يرى ان التمييز بين العصرفة (المورفولوجيا) التي تدرس بناء الصيغ النحوية، والسانتكس الذي يدرس وظيفة تلك الصيغ، إنما هو تمييز أحمق «إن ما يعتبر في لغة ما داخلا في علم الصيغ (المورفولوجيا) كثيرًا ما يكون في لغة أخرى من موضوعات علم النظم (Syntaxe)، ومن ذلك أن وظيفة الإعراب في اللغة اللاتينية عند قولنا : (Paulus caedit petrum) هي نفس الوظيفة التي يؤديها ترتيب الكلمات في اللغة الفرنسية عند قولنا : (Paul frappe pierre) (بول يضرب بيير)»[16].

وبالنسبة لدي سوسور، فإن ما يتفق على تسميته بالقواعد إنما يعني في الوقت نفسه السانتكس والمورفولوجيا معا[17]. وأما المورفولوجيا فإنها »تعالج مختلف فئات الكلمات (أفعال، أسماء، صفات، ضمائر، الخ) ومختلف الصيغ للإعراب (تصريف، إعراب)، والفصل هذه الدراسة عن السانتكس فإننا نزعم بأن هذه الأخيرة (السانتكس) إنما هدفها معالجة الوظائف المتعلقة بالوحدات اللسانية، بينما لا تهتم المورفولجيا إلا بالأشكال«[18].

ويرى دي سوسور أن التمييز بين هذين الصنفين في حقيقة أمره ما هو إلا تمييز وهمي، حتى وإن كان السانتكس يكتفي بالقول لنا.

– نقترح هنا P اللاتينية بثلاث نقاط تحت الحرف كما جرت العادة على أن يدل السلب على الإعجام للتمييز بين الأصوات العربية المشابهة لهذا الصوت اللاتيني خطيًا مثل : ب، ت، ث، ن، ي، ب P.

مثلا: إن مضاق الكلمة الإغريقية (Phulax) (حارس) هو : (Phulakos) وأن السانتكس هو الذي يبين لنا استعمال هاتين الصيغتين، إلا أن سلسلة الصيغ أو الأشكال للاسم (Phulax) لا تصير جدول تصريف أو إعراب (Paradigme de Flexion) إلا بمقارنتها بوظائف مرتبطة بمختلف الصيغ »وبالمقابل، فإن هذه الوظائف لا تكون مبررة بالمورفولوجيا إلا إذا قابل كل منهما علامة صوتية معينة إن تصريفًا (Déclinaison) ليس لائحة من الصيغ ولا سلسلة تجريدات منطقية، ولكنه نسق لهذين الأمرين، ذلك أن الصيغ والوظائف متضامنة، ومن الصعب، حتى لا نقول من المستحيل، الفصل بينهما، إن المورفولجيا لسانيًا ليس لها هدف حقيقي ومستقل، ولا تستطيع أن تشكل وحدها علمًا أو فرعًا متميزًا عن السانتكس«[19].

أما قليسون، وهو أشهر لساني معاصر معتمد في الجامعات الغربية، فحين يعرج على تعريف القواعد يذهب إلى انه »من الملائم تقسيم النحو (Grammaire) إلى قسمين: المورفولجيا والسانتكس، أما المورفولجيا فتعالج عمليات الاشتقاق والتصريف (Flexion) التي تكوّن الصياغات (Constructions) (أي الكلمات)، وهذه الصياغات تنتظم في صياغات أكثر أهمية في أنماط متنوعة، ومن وجهة تقريبية أن نعرّف السانتكس بأنه مجموعة من القواعد التي ترأس هذا التنظيم«[20] مردفا للقول أن »التمييز بين المورفولوجيا والسانتكس ليس دائمًا واضحًا«[21].

ألا يتفق قليسون[*] ضمنيا مع ابن خلدون ؟ ألم يصرح هذا الأخير بأفضلية تقديم النحو على اللغة حيث وضعه في أول ركن من أركان علوم اللسان ؟ وماذا قال قليسون ؟ ألم يقل بأن السانتكس ـ أي النحو ـ ما هو إلا مجموعة من القواعد التي ترأس تنظيم التواصل اللغويين الباث والمتلقي.

وليس فيلسوف وحده من يتجه اتجاه ابن خلدون، بل كذلك أندري مارتيني العالم اللغوي الفرنسي المعاصر صاحب التنظيرات اللسانية العالمية، وبعد اعترافه بأن تعريف موضوع السانتكس بالتدقيق أمرًا سهلا، يقر بأنه قبل تعريف ما هو سانتكس، ينبغي التوضيح بان هذه المادة تترأس مجموعة الدراسة التي نسميها التمفصل الأول (Première articulation) (مستوى الوحدات المعنوية الصغرى أو ما يسميه المونيمات)[22].

وبالنسبة للسانيين الأمريكيين عمومًا، وفي إطار ما يعرف عندهم بالمدرسة التوزيعية، فإن نظام لغة من اللغات يتصورونه تصورًا لا يفصلون فيه النظام المورفولوجي عن النظام السانتكسي المتفرعين عن النظام القواعدي (Système Grammatical)[23].

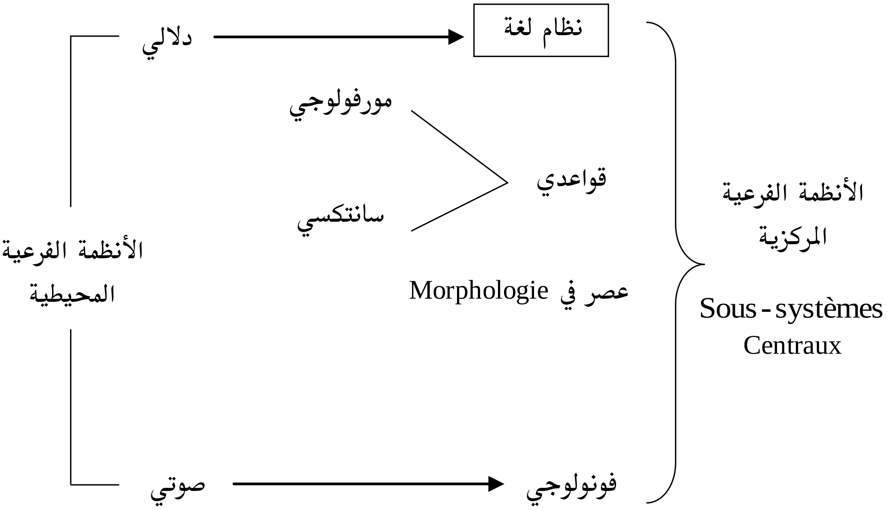

وبصرف النظر عن النظام اللغوي البنيوي الذي يصنفه كارول (Carol) في الدراسات اللغوية الأمريكية ستة تصنيفات (علم الأصوات، علم الفونيمات (Phonémique)، العصرفة (La Morphophonémique)[**]، السانتكس، المعجمية)، فإن السانتكس ترتبط هي أيضًا بالعصرفة أو المورفولوجيا، وهي بذلك عندهم "تدرس بناء الجمل النحوية"[24].

وإيرادنا لبعض هذه الآراء المعاصرة لتعريف علم النحو أو السانتكس، والتي ترجع إلى علماء وباحثين لسانيين غربيين، لا يجعلنا أن نفقد صوابنا العلمي الموضوعي لنجعل ابن خلدون في مرتبة واحدة مع هؤلاء اللسانيين الذين تقدموا بالحقل اللساني خطوات مذهلة وفق مناهج علمية صارمة، وابن خلدون نفسه لم يدّع إطلاقًا أنه عالم لغوي، أو انه يملك هذه الصفة، لكن وقوفنا على وجهات نظره التي تتسم في مجملها بالموضوعية والتحري ومعالجة علوم اللسان العربي بطريقة مختلفة عن طريقة من تقدمه من اللغويين العرب والأجانب هي التي لفتت انتباهنا وأقنعتنا بهذه القراءة المقارنة التي رأيناها أنها لا تخلو من شرعية فكرية متقاطعة مع أفكار ونظريات هؤلاء اللسانيين المحدثين.

أجل، إن ابن خلدون لا تبتعد آراؤه كل الابتعاد عن الآراء التي أثيرت منذ عقود من الزمن هنا وهناك، وفي هذه المدرسة وتلك بالنسبة لموضوع علم النحو، فهو يشير إلى ما استنبط العرب من قوانين لتلك الملكة التي تقررت فيما أسماه العضو الفاعل لها، ويعني به اللسان، ويعتبر السمع أي التلقي أبا الملكات اللسانية، وتلك القواعد تخضع لشبه الكليات يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون ما أسماه الأشباه بالأشباه[25].

إن وجهة نظر ابن خلدون أعلاه يمكن أن نصادفها في فحوى وجهات نظر غيره من اللغويين، فهذا نيكولا روبرت (Nicolas ruwet) وهو يدرس سانتكس اللغة الفرنسية يصرح "إن علم النحو للغة مهما كانت يمكن أن يفهم كنظام من القوانين يناظر تمثلا دلاليًا (Représentation sémantique) ، وتمثلاً صوتيًا لجمل هذه اللغة، إن النحو يجدد (spécifie) من جهة أخرى، مجموعة غير منتهية من البنيات السطحية في غاية التشكيل، والتي تحولت إلى تمثلات صوتية من جراء قوانين فونولوجية إن النحو يشمل أيضًا مجموعة من قوانين التحويل"[26].

علم اللغة

يعرف هذا الموضوع منذ عقود خلت لدى الغربيين تحت اسم (Science du langage)، وإذا عدنا إلى أحد المعاجم الموسوعية في علوم اللغة، وليكن عند تودوروف (odrov) ودكرو (Ducrot) فإننا نقف فيه على معالجة أبواب ومواد لسانية ومنهجية كالتالي[27] :

1. المدارس اللسانية من تاريخية ووظيفية وتوزيعية ولسانية عامة.
2. الحقول (Les Domaines) وتتناول فيه : مكونات الوصف اللساني، اللسانيات الجغرافية علة الاجتماع اللغوي، علم النفس اللغوي، البلاغة والأسلوبية، الشعرية، السيميوطيقا، فلسفة اللغة.

3. التصورات المنهجية، وعولج فيه العلامة، التركيب ونمطية الاستبدال، الفئات اللسانية، اللغة والكلام، المعيارية، الاعتباطية، التزامنية والزمنية، تاريخ الأدب، الأجناس الأدبية، اكتساب اللغة، علم أمراض الكلام.

4. التصورات الوصفية، وتتناول فيه مواضيع شتى: الوحدات الدالة، النطق الصوتي اللساني، نظم الشعر، الكتابة، الوحدات الدالة، أقسام الخطاب، الوظائف السانتكسية الشخصية (Personnage)، القواعد التوليدية، البنيات السطحية والبنيات العميقة، الإحالة، تصنيف وقائع المعنى، خطاب الخيال، التوافقية الدلالية الصورة (Figure)، العلاقات الدلالية بين الجمل، التحويلات الاستدلالية، النص، الأسلوب، الزمن وكيفية اللغة، زمن الخطاب، التلفظ، رؤية التخيل، مقام الخطاب، اللغة والفعل.

وبالنسبة لابن خلدون، ما هي العناصر التي عالجها الأول وهل نستطيع الجزم دون مبالغة بأن الرجل قد عالج أكثر من ستين في المائة مما عالجه تودوروف ورفيقه، وحتى لا يكون كلامنا ضَرْبًا من الخيال أو المغامرة، يجدر بنا أن أقفك معي على العناصر التي أوردها ابن خلدون، والتي تتقاطع عناصر منها بشكل مكشوف مع عدد غير قليل من المواضيع التي أوردها ودرسها صاحبا المعجم الموسوعي المشار إليه آنفًا.ذكر ابن خلدون بشكل عام المواد التالية :

– الخط والكتابة، اكتساب اللغة، أشياء من التعليمية، النحو اللغة، علم اللغة، البيان، الأدب،... وتحت كل ركن مما أسماه أركان علوم اللسان العربي، تنضوي عناصر ضيقة وواسعة مثل الألفاظ، المعاني، الأجناس الأدبية، التراكيب اللغوية المعربة وغير المعربة المقارنة بين التواصلات المختلفة حسب العصور والمواقع الجغرافية، نظم الشعر وفنونه، النص الأدبي، الصنعة والموهبة، تمييزه

بين القواعد صناعة واللغة ملكة وسليقة، الأسلوب، الذوق الفني، صناعة الأجناس الأدبية قائمة في الألفاظ لا في المعاني،...مس مسًا قريبًا علم الاجتماع االلغوي، الديالكتولوجيا،...

ولذا، فإن كل ما هو ذو طابع دراسي عام أو خاص إلا وقد أشار إليه ابن خلدون فيما آثاره من أفكار، وإذا كان الرجل لم يخرج عن الاتجاهات التقليدية لدارسي الأدب العربي ونقدته ومؤرخيه في حصر الأجناس الأدبية في الفنون الشائعة منذ العصر الجاهلي، فإنه استطاع مع ذلك أن يطنب في دراسة وتحليل بنية الموشحات وأجناس أدبية شعبية أخرى جديدة سنشير إليها لاحقًا.

غير أننا كنا نتمنى من ابن خلدون، وهو الباحث العالم المتفتح والمتحرر من طابوهات الماضي والحاضر، أن يتساءل عن غياب أجناس أدبية عزف عن ترجمتها والإبداع على منوالها من تقدمه من العرب، على الرغم من أنه كان على اطلاع عليها لدى اليونان بشكل خاص، ومع ذلك، فإن الرجل معذور، لأنه لم يكن يقصد التنظير والتأسيس بقدر ما كان هدفه الوصف والتحليل، وإلا فإن هناك علومًا كثيرة لا قبل للعرب بها، ولما ترجموها ومارسوها من الشعوب المتحضرة التي تفاعلوا معها، ذكرها ووصفها وصف العالم بها.

والذي يلفت انتباه الدارس بقوة أن الأصناف التي صنفها ابن خلدون تحت مصطلح "علوم اللسان العربي" هي عين ما نراه اليوم ونقف عليه في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، خلافًا للدراسات اللغوية العربية القديمة التي ظلت منحصرة في فضاء لغوي صرف، وكان ذلك أحد أسباب تقهقرها لاحقًا بعد عزتها وتطورها وتنوعها خلال نشأتها في القرون الأربعة الأولى، ونتيجة هذا كله أن الفضاء اللغوي العربي الحديث لم يشهد إلى حد الآن دراسات لسانية

متميزة يمكن نسبتها إلى العقلية العربية التي تعودت الاستهلاك الجاهز، وما يوجد من اجتهادات شخصية هنا وهناك لن يقدّر له أن يفرض نفسه على المدارس اللغوية المعاصرة.

وحين نرجع إلى نصوص ابن خلدون، فإنه يعرف علم اللغة بأنه "بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبطت القوانين لحفظها،... ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه،... فأحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث،... وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ألف فيها كتاب العين"[28].

ولفت انتباهي تساؤل، لا بد من طرحه: لماذا ذكر ابن خلدون مصطلح "علم اللغة" بدلاً من "فقه اللغة" مثلا : لقد أصبح، ومنذ مدة التمييز المنهجي أكثر وضوحًا بين الحقلين، على الرغم من أن أحدهما لن يستغني عن الآخر لا حاضرا ولا مستقبلا، لأن أحد الحقلين لا يمكن له أن يقوم مقام الحقل الآخر، فهل كان ابن خلدون يدرك هذا التمييز والمدرك العلمي بين ما ينضوي تحت كل مادة ؟

ودون أن ندخل في التفاصيل، فإن الدراسات اللغوية العربية عرفت المصطلح الأول "علم اللغة" أو ما يقترب منه قبل معرفتها للمصطلح الثاني (فقه اللغة) على الرغم من أن مصطلح "فقه" لم يكن عندهم مدلولاً غريبًا.

ذلك أننا إذا عدنا إلى التراث العلمي اللغوي عند العرب، فإنه تصادفنا عينات من عناوين كتب تحمل مصطلح علم اللغة، من ذلك كتاب »البارع في علم اللغة« للمفضل بن سلمة الضبي (توفي حوالي 168 أو 1714هـ) »والمختصر في علم

العربية« لأبـي الحسـين بـن الجـزار النحـوي (325هـ)، ... لأن المصـنفات الـتي عاصرت نهضة الفكر اللغوي عند العـرب، علـى الـرغم مـن تخصصـاتها الداخليـة، وتفرعاتها الجزئية، كانت أعم وأشمل، أي أن الفقه في الشيء ذو مجال علمي محدد مثل الفقه في الدين ؛ بينما العلم ذو مجال أرحب وأكثر تنوعًا (علم العرب).

والنقطة المشار إليها أعلاه ربما كانت أحـد الأسـباب القويـة الـتي أخـذت ظهور فقه اللغة عن علم اللغة، ولما كانت نظرة ابن خلدون نظرة واسعة إلى فروع الدراسات اللغوية وتشعبها من ألفاظ، ومشتقات، ودلالات، وغريـب، وأضـداد، وأمثال، وبلاغة، وأساليب، وشروحات لغوية، ومعـاجم، ومعـاني، ونـوادر،... رأى أن هذا المصطلح أعني علم اللغة، أنسب لها من فقه اللغة، وبذلك يكون قد سبق العديد من اللغويين، بمن فيهم اللغويون الأجانب، إلى إدراك البعد العلمـي والمنحى المنهجي بين هذين المصطلحين.

ولسنا بحاجة إلى تأكيد عميق لهذا السبق، وكفانا إشارة إلى هذا، ما ذكـره العالم اللغوي الفرنسي جورج مونان، بأن علم اللغة نشأ في الغرب مع مطلع القرن التاسع عشر، ويرجع تاريخ استعمال هذا المصطلح لأول مـرة إلى عـام 1833 في حين ظهرت كلمة »اللغوي« (linguistique) منذ عام 1826، وأما علم اللغـة العام فيؤرخ ظهوره بأول محاضرة لأنطوان ماييه عام 1906[29].

وأمـا فرديناند دي سوسـور فيقـول : »بـدأ الموضـوع بمـا يسـمى بالقواعـد (Grammaire)، وهذه الدراسة التي شيدها الإغريـق، وتابعهـا الفرنسـيون مـن بعد، تعتمد المنطق بشكل جوهري، وهي خلو من أية نظـرة علميـة سـامقة علـى اللغة ذاتها،... ومن ثم ولد فقه اللغـة،... بيـد أن هـذا المصـطلح يـرتبط بشـكل

خاص بالحركة العلمية التي أسسها فريد ريك ولف منذ عام 1977«[30]. وأما اللسانيات أو علم اللغة عنده فيؤرخ لها بالمعنى الحصري للكلمة بأنها »قد نشأت من دراسة اللغات الرومانية الجرمانية«[31].

والواقع أن تعبير ابن خلدون بالعموم (فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه) ليوحي إيحاء مباشرًا بجدوى استعماله لمصطلح »علم اللغة« لأن الكلام، وهو أعم من التركيب أو الجملة، لا يعني التواصلات الشفوية والكتابية المعتادة في اللغة العربية، بل يعني كذلك العلوم اللغوية التي تتكفل بدراسة مناحي الخطاب وشتى طرقه وأساليبه في العربية السليمة نطقًا واشتقاقًا وفهمًا وتركيبًا، وهذا ما ينهض به علم اللغة، لكن بشكل عام.

وبعبارة أخرى، إن علم اللغة عند ابن خلدون غير علم اللسان، فما هو خاص بعلم اللغة عملية علمية تطبيقية وفق قوانين اللغة التي وصلتنا مدونة في الأمهات والمعاجم، وما هو متعلق بعلوم اللسان فهو ظاهرة أو حقل أعم من علم اللغة نفسه، لكن هذه الظاهرة ليست شاردة أو فوضوية بل هي مقيدة بالأركان الأربعة التي هي لديه بمثابة مواد بنائية تسهم في تكوين اللغة وإنتاجها وتبليغها والتعامل بها وسط مجتمع تبناها بالجبلة أو التحصيل بواسطة التلقي والرواية ثم التدوين فالإحالة على المدونات الأساسية مصدر كل ما ألف لا حقا من كتب ومعاجم لغوية.

أما تمييزه المباشر بين فقه اللغة وعلم اللغة فإن الأمر عنده لا يشوبه لبس ولا غموض، وفق اللغة عنده أخص وأبعد غورًا من علم اللغة، لأنّه ناتج عن المدلولات من الألفاظ التي تجاوزت حقيقتها ومعناها »ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظًا أخرى خاصة

بها فوق ذلك عندنا، بتَن الوضع والاستعمال،واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ،... واخْتُص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي، وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة«[32].

وفقه اللغة عند ابن خلدون هو ما يأخذ به اللغويُّ نَفْسَه من أن يحرف استعمال كلام العرب عن مواضعه، وحجه اللغوي في كل ذلك ما تشهد به استعمالات العرب السليمة، وليس هجنه المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية بل ربما يعترينا الخجل من أن نكون موضوعيين وحداثيين مع هذا الرجل لإيراد قول جان بيرو الذي يصرح فيه بأن كلمتي »فقه لغة وألسنية، بالإضافة إلى كلمة قواعد، تستعمل معًا في أيامنا، بخاصة، في مجال التعليم، مع أن الاتجاه الصحيح يميل إلى تخصيص تسمية فقه اللغة لدراسة النصوص، وتسمية ألسنية لدراسة اللغات والملكة اللغوية«[33].

وإذا تقصينا بإمعان النقاط الجزئية التي تعرض لها ابن خلدون في مختلف المستويات اللغوية التي حللها وعالجها، فإننا نجد المواد التي طرقها أقرب وأنسب بعلم اللغة منها بفقه اللغة، فهو لم يقتصر على اللغة العربية القديمة، بل حاول دراسة مقامات الخطاب في عصره وقبل عصره، في المشرق وفي المغرب، وكيف تحولت العربية في إعرابها وألفاظها وتراكيبها من حالة إلى حالة بمعنى أن الملكة اللغوية عنده أشكال وليست شكلاً واحدًا، وهي متنوعة حسب تنوع مستويات الخطاب والمستويات اللغوية من لغات ولهجات محلية وجغرافية ولغة شفوية وأخرى محكية.

المنظور الفكري الخلدوني للغة

على خلاف بعض الأركان الجزئية التي تناولها ابن خلدون، والمكونة لعلوم اللسان العربي، فإن طروحاته حول اللغة طروحات مفتوحة في كل الاتجاهات،

ولذا فإن الفكر الجوهري لابن خلدون تكمن حقيقته، ويتجلى مستواه البكر في ثنايا حديثه عن اللغة الإنسانية، إن الرجل حين يقول: »اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني«[34]. وإنه يعرفها تعريفًا وظيفيًا واجتماعيًا وفزيولوجيًا (فعل لساني)، وحين يقول: »اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني«[35]. فهو لا يعني لغة بعينها، بل أية لغة إنسانية، وهي ليست عنده ملكة صناعية كل الصناعة، ولكنها شبيهة بها، ولكنها تحتاج إلى العلم والتعلم، وتشبهها في كونها تتلاقى معها في الممارسات الفعلية عملاً وفكرًا وعلمًا، وتشبهها أيضًا في كونها تؤدي تحقيقًا من خلال اعتمادها على مجهودات جسمانية فزيولوجية، وتختلف عنها في كونها ليست محسة كل الإحساس مثلها، ولكنها كفاءة ذات صفة راسخة بالفطرة والتعلم، ولهذا يشير ابن خلدون: »إن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليًا هو جسماني محسوس،... والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة،...«[36].

ليس معنى هذا أن الرجل يخلط بين الملكة اللغوية وغيرها من سائر الملكات الأخرى، باعتبار الملكة عنده لا تختص باكتساب فن أو علم دون باقي الفنون والعلوم الأخرى، بل الأمر عنده واضح إزاء كل ملكة على حدة تبعًا لظاهرتها وخاصيتها وطبيعتها، حتى وإن كان التقاطع ثابتا وقارًا دائمًا بينها جميعًا، وما يعنينا هنا معه، بشكل أخص، ما يتصل بالملكة اللغوية، على الرغم من شعورنا الواسع بأنه لا يمكن فهم الملكة اللغوية لديه بمعزل كلي عن باقي أوصافه للملكات الأخرى في شتى الحقول والمجالات، ولكن ليس ضرورة أن نحيل في كل مرة عليها على الرغم من تقاطعها وتكاملها.

على أي حال إن بعد النظر لدى ابن خلدون أن الفرد إذا حصلت له ملكة، فإنه قلما أن يجيد في ملكة أخرى »والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان، فلا تزدحم دفعة، ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادًا لحصولها، فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيه الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة أضعف«[37].

ويضرب مثلاً على الملكة الأحادية من خلال ذلك المتكلم العربي القديم الذي كان ينهل من ملكة أحادية مثالية، حيث كان يسمع أهل بلده وجيله في أساليبهم وأنحاء شتى من خطاباتهم عن مقاصدهم، أي أن الصبي كان يسمع استعمال »المفردات في معانيها فيُلقَّنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقَّنها كذلك، ثملا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل«[38].

والملكة اللغوية عند ابن خلدون أوسع من أن يحاط بها في هذا المبحث الجزئي، وسبق لنا أن عالجناها بشيء من التفصيل في مناسبة أخرى، وتماشيا مع منهجنا الذي حاولنا أن يكون ذا اقترابات مقارنة، فإننا نحيل على بعض الأفكار اللسانية الغربية حتى نعرف مدى اقتراب الفكر اللغوي الخلدوني منها أو بعده عنها.

إن اللسانيات الحديثة اهتمت بموضوع الملكة اللغوية والاكتساب اللغوي اهتمامًا يدل على مدى توفيق ابن خلدون حين أطنب في طرف هذا الموضوع وتعميمه وتفصيله، من باب المعاينة والملاحظة والتجربة، وليس من باب الحدس والتخمين، ولذا فيصدق عليه كامل الصدق ما يصدق على وصف اللسانيات بأنها الدراسة العلمية الموضوعية للغة.

وبينما يصرح ابن خلدون بأن العرب بعد اختلاطهم بالعجم تغيرت ملكتهم «بما ألقي إليها السمع من المخالفات التي للمستعمرين، والسمع أبو الكلمات السمعية»[39]، فإن لسانيًا معاصرًا مثل جان بيرو ويقول : «وتحتل الملكة اللغوية البصرية، والملكة اللغوية السمعية مركزًا خاصًا»[40]، مردفًا جان بيرو القول بأن المجتمعات البشرية قد استعملت الملكة اللغوية السمعية أكثر من غيرها، لأن هذه الملكة تلجأ إلى الأصوات التي يؤديها الإنسان، ومن الملكة السمعية القائمة على الكلام نتجت لغة بصرية ليست في حقيقة أمرها «سوى تمثيل بواسطة الحروف الخطّية، ولا جامع إطلاقًا بينها وبين اللغة البصرية»[41].

الإحالات

1. المقدمة، ص.531
2. نفسه ص. 532
3. نفسه، ص: 547
4. نفسه، ص. 560
5. محاضرات في الألسنية العامة، ص..35
6. السابق، ص. .37
7. انظر، المقدمة، ص. 545.
8. نفسه، ص. 545-546.
9. محاضرات في الألسنية العامة، ص. 147
10. Dictionnaire des didactiques des langues, p. 547.
11. محاضرات في الألسنية العامة ص. 27
12. Initiation à la linguistique, p. 8.
13. السابق، ص. 8
14. المقدمة، ص. 560.
15. نفسه، ص. 562
16. علم اللسان، ص. 441.
17. Cours de linguistique générale, p. 213.
18. نفسه، ص. 214
19. نفسه، ص. .214
20. Introduction à la linguistique, p. 105.
21. نفسه، ص. 105.

(*) من المناسب أن نكتب (G) الذي يكتب في العربية ق على الشكل: ڧ بدون إعجام أو نكتبه على الأقل على شكل "الفاء" (المغربية: ڢ بوضع نقطة من تحت بدلا ثلاث نقاط من فوق.

22. SYNTAXE générale, p. 16.

23. Révolution linguistique, p.128.

(**) هذه المادة لا مصطلح لها في العربية، فيما أعلم، وتهتم بدراسة البناء الصوتي للمورفيمات حسب المصطلح البلومفيلدي أو المونيمات تبعا للمصطلح المارتيني، وكذا دراسة التغير داخل البناءات القواعدية "النحوية".

24. السابق، ص. 129.

25. راجع المقدمة، ص. 546.

26. Théorie syntaxique et syntaxe du français, p.13.

27. المعجم الموسوعي في علوم اللغة : تودوروف، و دكرو.

- Tudorov, Ducrot, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage.

28. المقدمة، ص. 548.

29. انظر تاريخ علم اللغة ص. 1.

30. محاضرات في الألسنية العامة، ص. 11.

31. السابق، ص. 15.

32. المقدمة، ص. 549-550.

33. الألسنية (علم اللغة الحديث) ص. 203.

34. نفسه، ص. 546.

35. نفسه، ص. 554.

36. نفسه، ص. 339-400.

37. نفسه، ص. 405.

38. نفسه، ص. 554-555.

39. نفسه، ص. 546.

40. الألسنية (علم اللغة الحديث) ص. 199.

41. السابق، ص. 200.